د . بركات محمد أحمد محمد(*)

مُقَدِّمَة:

لقد كان للشِّعْر دورٌ كبيرٌ في حياة العرب، فهو لسان حالها، المعبّر عن آلامها وآمالها، والمقيّد لأنسابها وتاريخها وأيامها، فهو بحقّ ديوان لعلوم العرب وأخبارهم.

وإذا كان لهذا الفنّ الرّفيع دور بارز في توجيه النّفوس العربيّة إلى الخير وترغيبها فيه، والحثّ على الفضائل والمكرمات وتزيينها لهم؛ فإنّه ساهم إلى حد بعيد في تأجيج النّفوس، وإذكاء نار الحرب، والدّعوة إلى الأخذ بالثّأر، وتخويف النّاس؛ ولذا من الضّروريّ أنْ تستفيد النُّبوة الشَّريفة من هذا التُّراث التّليد والسّلاح الماضي في مواجهة الطُّغاة وأعداء الدّعوة، وتقديم الخير للنّاس، وبالفعل فقد دافع شعراء الدّعوة الإسلاميّة عنها كحسّان بن ثابت وعبد الله ابن رواحة وغيرهما.

نظراً إلى أهمية العصر النَّبويّ ، وتمشيّاً مع طبيعة الموضوع اكتفيت بالحديث عن الرُّؤية النَّبويّة الشَّريفة للشِّعْر، وهي تمثّل الرُّؤية القرآنيّة للشِّعْر وموقف الإسلام منه عامّة.

وقد قمتُ بتقسيم هذا الموضوع إلى ثلاثة مباحث بعد المقدمة، جاء المبحث الأول موجزاً لمكانة الشِّعْر عند العرب قبل بعثة النّبيّ ε، بينما كان المبحث الثاني مشتملاً على بعض مواقف النُّبوة الشَّريفة من الشِّعْر قولاً وفعلاً ، وجاء المبحث الثالث بعنوان: شبهات حول الموضوع، وهو عبارة عن نصوص أشكلت على بعض الدّارسين أو لم تُفْهَم الفهم الكامل، ثم ختمت بخاتمة موجزة اشتملت على النّتائج والتّوصيات.

المبحث الأول
مكانة الشِّعْر عند العرب قبل بعثة النّبيّ ε

من المعلوم دور الكلمة البليغة وتأثيرها على النُّفوس وخاصة الشِّعْر منها، فقد كان ذا مكانة رفيعة، ويُعَدُّ لغة قوم وعلم مَنْ لم يكن لهم علم أصحّ منه(١).

(*) أستاذ مساعد بقسم اللُّغة العربيّة، كلية التَّربيّة، فرع الجامعة بولاية الجزيرة.

ومما جاء في مكانة الشِّعْر قول أبي هلال العسكري: "لا تُعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ومواقعها إلاَّ من جملة أشعارهم، فالشِّعْر ديوان العرب وخزينة حكمتها"(٢).

وللشِّعْر منزلة عظيمة عند العرب، وللشَّاعر مكانة لا تضاهى عندهم، فإذا نبغ في القبيلة شاعر هنأتها القبائل الأخرى، وصنعت لها الأطعمة، وأعلنت الأفراح؛ لأنَّه حماية لأعراضهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم،وكانوا لا يهنئون إلاَّ بغلام يُولَد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج(٣).

وقد رُوِيَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ترفعه قالت: قال رسول الله ε:(الشِّعْركلام من كلام العرب جزل، تتكلَّم به في بواديها، وتسل به الضّغائن من بينها)(٤).

وجاء عن عمر بن الخطاب τ: "مُرْ مَنْ قبلك بتعلُّم الشِّعْر؛ فإنَّه يدلُّ على معالي الأخلاق، وصواب الرَّأي ، ومعرفة الأنساب"(٥).

وقال ابن رشيق: "ومن هنا عظم الشِّعْر، وتهيب أهله، خوفاً من بيت سافر تحدو به الإبل، أو لفظة شاردة يضرب بها المثل، ورجاء في مثل ذلك فقد رفع كثيراً من النّاس ما قيل فيهم من الشِّعْر بعد الخمول والاطراح، حتَّى افتخروا بما كانوا يعيّرون به، ووضع جماعة من أهل السّوابق والأقدار الشَّريفة حتى عُيِّروا بما كانوا يفتخرون به"(٦).

إنَّ العرب لا تَعُدُّ الشِّعْردرساً أدبيّاً فحسب؛ بل هو عندهم جماع الحياة كلها، فيه يقرأون تاريخهم، ويلتمسون منهاج تربية أبنائهم. قال سيدنا معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ: "يجب على الرجل تأديب ولده، والشِّعْر أعلى مراتب الأدب"(٧).

---

(١) الجمحي؛ ابن سلام: طبقات فحول الشُّعَراء، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة القاهرة، ص ٢٤.

(٢) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٢٨.

(٣) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشِّعْر وأدبه ونقده، تحقيق محمد محي الدين، الطبعة الخامسة، دار الجيل، ص ٢٥.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٢٩، لم أجد له أصلاً في الصحاح والسنن.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص٢٩.

(٦) ابن رشيق: العمدة، ١٢٢/١.

(٧) المصدر السابق نفسه، ٢٩/١.

وما تكاد القصيدة تُروى حتى تسير بها الرُّواة، وتنشرها المجالس ، قال المسيب بن علس[١]:

فلأهدينَّ مع الرّياح قصيدةً ... مني مغلغلةً إلى القعقاع
تردُ المياه فلا تزال غريبةً ... في القوم بين تمثُّلٍ وسماع[٢]

فقصيدته تنتشر بين القبائل ويرددها الناس مستمعين ومتمثلين بأبياتها. والأمثلة كثيرة لشعراء حموا أعراض قبائلهم، ولشعراء تشدّعوا لقبائلهم ولأفراد منها فشفعوا، وشعراء رفعوا الوضيع ووضعوا الرّفيع .

والأعشى[٣] يقدم مكة، ويمدح المحلق، ويذكر كرمه، وشرفه، وحسن وحسن صفاته، بعد فقر وخمول ذكر ... ثم تحدّث عن بناته فقال:

أرقت وما هذا السُّهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي معشق
نَفَى الذَّمَّ عن آل المحلَّق جَفنةٌ ... كجابيةِ الشَّيخ العراقيِّ تفهق[٤]

فما إنْ أتمَّ قصيدته حتى انثال على المحلق الأشراف من كل قبيلة يهنئونه ويخطبون بناته العوانس، فلم تُمْسِ منهن واحدة إلاَّ في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضِعْف[٥].

وكان بنو (أنف الناقة)يأنفون من هذا اللَّقب، حتَّى إذا مدحهم الحطيئة[٦] بقوله:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا[٧]

---

(١) المسيب بن علس: هو زهير بن مالك بن عمرو بن زيد بن ثعلبة، شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام. انظر: المفضليات، ص ٦٠.

(٢) المفضل الضبي: المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، دار المعارض، ص ٦٢. فهذه الأبيات تؤكد سلامة النقل.

(٣) هو الأعشى الكبير أبو بصير، ميمون ابن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد، يلقَب بـ "صناجة العرب"، أمه بنت علس أخت المسيب بن علس ولد بقرية منفوحة باليمامة. انظر: المرزباني: معجم الشُّعْراء، تحقيق عبد السَّتار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م، ص ٣٢٥.

(٤) الأعشى؛ ميمون بن قيس: ديوان الأعشى، شرح د يوسف فرحات، دار الدين، بيروت، ١٩٩٢م، الطبعة الأولى، ص ١٧٧.

(٥) ابن رشيق: العمدة، ٢٥/١.

(٦) الحطيئة: هو جرول بن أوس بن مخزوم بن مالك البسي، نشأ مغموراً في نسبه مملاقاً، لم يكن يقتني المال ولا يحسن إمساكه، وهو ينتمي إلى مدرسة زهير الشِّعْرية. انظر: الأصفهاني؛ أبو الفرج: الأغاني، دار الثقافة، بيروت.

(٧) الحطيئة؛ جرول بن أوس: ديوان الحطيئة من رواية حبيب بن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

صار اسمهم شرفاً لهم.

ولقد كانت القبيلة تحرص على رواية شعرها، فتعلم صغارها الشِّعْر، وشعر أشعار القبيلة خاصة، كما كانت تفعل (تغلب) في تحفيظ أبنائها معلقة عمرو بن كلثوم[١]، فهجاها شاعر (بكر) بقوله:

ألهى بني تغلب عن كُلِّ مكرمةٍ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً ما ذكر ان أوّلهم يا للرِّجال لشعرٍ غير مسؤوم[٢]

المبحث الثاني
مواقف نبويّة من الشِّعْر

ثبت أنَّ لرسول الله ε مواقف مؤيّدة للأدب ومشجّعة للأدباء، آخذة بيد الشِّعْر والشِّعْراء. ويتجلّى ذلك في كثير من الأقوال والأفعال والمواقف النَّبويّة الشَّريفة، ومن ذلك قوله ε: (إنَّ من البيان لسحراً، وإنَّ من الشِّعْر لحكمة)[٣].

والمراد أنَّ في الشِّعْر كلاماً نافعاً يمنع الجهل والسفه وينهى عنهما.

ولقد كان الرّسول ε يحثُّ شعراءه على أنْ ينزلوا إلى أرض المعركة ويجاهدوا المشركين بألسنتهم، مؤكّدا أنَّ النُّصرة لا تكون بالسّنان وحده؛ بل بالسِّنان واللِّسان معاً، فقال ε: (جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم)[٤]. وقال أيضاً: (جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم)[٥].

---

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن أسد بن زهير بن جشم بن بكر، ينتهي نسبه إلى معد ابن عدنان، أمه ليلى بنت مهلهل أخ كليب، وهو الذي قتل عمرو بن هند. انظر: أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ١١.

(٢) عمرو بن كلثوم: ديوان عمرو بن كلثوم، شرح عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص ١٣٦.

(٣) البخاريّ؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاريّ، دار الجيل، بيروت، ٤٣/٨؛ مسلم مطبعة الحلبي، ٤٦/٤؛ أبو داود: السنن، مطبعة السعادة، ص ٤١٥؛ الأصفهاني؛ أبو الفرج: الأغاني، ١٣٧/٤.

(٤) مسند الإمام أحمد، باب مسند أنس ت، برقم ١١٧٩٨.

(٥) سنن النّسائيّ، باب وجوب الجهاد، برقم ٣٠٤٥، وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، ٢٢/٣-٢٣.

وعن كعب بن مالك أنَّه أتى النّبيّ ε فقال: إنَّ الله تعالى قد أنزل في الشِّعْر ما قد علمت، وكيف ترى فيه؟ فقال النّبيّ ε: (إنَّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه)(١).

فالجهاد كما بيَّن النّبيّ ε في هذه الأحاديث ضروب، والشِّعْر أحد أنواعها، فهناك جهاد بالنّفس حين يجود بها المرء منعتقاً من جُنه، شارياً بالنّفس الفانية نفساً باقية، تنعم بما عند الله تعالى من حسن الثّواب... وهناك جهاد بالمال حين يبذله المرء في سبيل الله تعالى متحياً نوازع الشُّح في نفسه مقرضاً هذا المال قرضاً حسناً ... وهناك جهاد بالكلمة يقف بها جنباً إلى جنب من الجهاد بالنّفس والمال؛ بل إنَّ الجهاد بالكلمة أندر، والحاجة إليه ـ بسبب ندرته ـ أشدّ؛ ذلك لأنَّ للنّاس جميعاً نفوساً يمكن أنْ يجودوا بها إذا صحَّت عزائمهم، وأنَّ لدى كثير من النَّاس مالاً يستطيعون أنْ يضحوا به إذا سمحت نفوسهم. ولكن سلاح الأدب نادر ثمين لا تملكه إلاَّ القلة القليلة في أي مجتمع من المجتمعات؛ ذلك لأنَّ قوامه الموهبة، والموهوبون قليل، لذلك فإنَّ حسّان يؤكّد في شعره أنَّه لن يتوقف ولن يتوانى في مواجهة خصومه، حتّى يتراجعوا عن غيهم وضلالهم، ويتركوا عبادة الأصنام، ويتمسكوا بحبل الله المتين، فيقول τ:

أمّا قريش فإنّي لستُ تاركهم ... حتّى يبيذوا من الغيات للرُّشدِ
ويَتْرُكُوا اللات والعزى بمنزلة ... ويَسْجُدُوا كلّهم للخالق الصَّمدِ
ويشهدوا أنَّ ما قَالَ الرَّسولُ لهم ... حقّ ويُوفُوا بعهدِ الواحدِ الأحدِ(٢)

ويوم اشتدّ إيذاء المشركين للدّعوة وصاحبها الأمين ε؛ انتدب عصبة من الشِّعْراء ينافحون عن الإسلام ويدفعون أذى هؤلاء المعتدين، فبرز حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنهم ـ جميعاً ، وقد دفعهم الرَّسول ε إلى سلاح الجهاد قائلاً : (ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ε بسلاحهم أنْ ينصروه بألسنتهم؟)(٣).

(١) أحمد بن حنبل: المسند، ٣٠٧/٤.
(٢) حسان بن ثابت: ديوانه، ص ١٧١.
(٣) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب هجاء المشركين، ٥٤٧/١٠.

وقد كان رسول ε يشجع حسّاناً ويحثّه ويدعو له بمثل قوله: (اللهم أيّده بروح القدس كما نافح عن نبيك)[١]، واستمع ε لبعض هجائه فيمن ناوأ الإسلام فقال: (لهذا أشدّ عليهم من وقع النَّبل)[٢].

وفي حديث آخر عنه ε أنَّه قال: (أ مَرْتُ عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن،وأ مَرْتُ كعب بن مالك فقال وأحسن،وأ مَرْتُ حسّان فشفى واستشفى)[٣].

ويُرْوى عنه أنَّه قال لحسّان بن ثابت τ: (اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم، وأيامهم، وأحسابهم، ثم اهجهم وجبريل معك)[٤].

وقد أدرك النّبيّ ε خطورة هذا السّلاح، وأثره في النّفوس، فأعلنها حرباً عنيفة على هؤلاء الشِّعْراء، فأباح دماء بعضهم، ليقطع جذورهم، وليكونوا عبرة لغيرهم، فلما بلغه قدوم كعب بن الأشرف الشَّاعر اليهوديّ[٥] المدينة قال: (اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشَّرّ وقوله الأشعار)[٦]،وقال أيضاً : (مَنْ لي بابن الأشرف فقد آذاني؟)[٧].

كما أنَّه أباح دم كعب بن زهير عندما عرَّض بالإسلام والنُّبوة، ولكنه عفا عنه عندما تاب واستشفع بأبياته التي سيأتي ذكرها فيما بعد.

بجانب ذلك؛ فقد كان الرَّسول ε يحب سماع الشِّعْر الدَّاعي إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الصِّفات، وروائع الحِكَم، ويكرم الشِّعْراء ويكافؤهم جزاء ما فعلوا وقالوا، وخير ما يدلُّ على ذلك ما يرويه هشام بن عروة عن عائشة

(١) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، طبعة دار الجيل، ص ٤٣؛ مسلم بن الحجاج: الحجاج: صحيح مسلم، مطبعة الحلبي، ص ٤٦، أبو داود: السنن، مطبعة السعادة، ص ٤١٥.

(٢) ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، تحقيق يحيى مختار غزاوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٤٨/٢.

(٣) مسلم بن الحجاج: الصحيح، حديث رقم ٢٤٩٠، ١٩٣٦/٤.

(٤) أحمد: المسند، ٣٠٢/٤.

(٥) هو كعب بن الأشرف، كان شاعراً يهودياً يهجو النّبيّ ε وأصحابه ويحرض عليهم كفار قريش في شعره، وكان يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، أمر النّبيّ ε بقتله، فقتله محمد بن مسلمة. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٤/٣ وما بعدها، الواقدي: المغازي، ٢٨٤/١ وما بعدها.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٤/٣.

(٧) الواقدي: المغازي، ١٨٧/١.

ـ رضي الله عنها ـ أنَّ النّبيّ ε بنى لحسّان بالمسجد منبراً ينشد عليه الشِّعْر[١].

وقد بلغ من إعجابه وتقديره ε للشِّعْر أنْ خلع بردته وألقاها على كعب بن زهير مكافأة له[٢]، حيث أنشده في مسجده لاميته المشهورة بـ (البردة):

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... متيّمٌ إثرها لم يُفْدِ مكبولُ
أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني ... والعفو عند رسولِ اللهِ مأمولُ
لا تأخذني بأقوالِ الوشاةِ ولم ... أُذنب ولو كَثُرَتْ فيّ الأقاويلُ
إنَّ الرَّسولَ لنورٌ يُستضاءُ بهِ ... مهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ
في عصبةٍ من قريش قَالَ قائلهم ... ببطنِ مكةَ لما أسلموا زولوا
زالوا فما زَالَ أنكاس ولا كشف ... عند اللّقاء ولا ميل معازيلُ
شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيلُ[٣]

ومن إعجاب الرسول ε ببديع الشِّعْر واستبشاره إيّاه؛ ما رواه مسلم عن عمرو بن الشّريد عن أبيه أنَّه قال: ردفت رسول الله ε يوماً فقال: (هل معك من شعر أمية بن أبي الصّلت شيء؟) قلت: نعم، فقال: (هيه)، قال:فأنشدته بيتاً ، فقال: (هيه) حتَّى أنشدته مائة بيت ...

وفي رواية أخرى قال: إنّه كاد ليسلم[٤].

وأنشد النابغة الجعدي قوله:

أتيتُ رسولَ اللهِ إذْ جاءَ بالهدى ... ويتلو كتاباً كالمجرَّةِ نيّراً
بلغنا السّماءَ مجدنا وجدودنا ... وإنَّا لنرجو فوقَ ذلكَ مظهراً

فسأله رسول الله ε ـ وقد أحسّ أنَّه يفخر فخر الجاهلية ـ: (إلى أين يا أبا ليلى؟) فقال: إلى الجنّة يا رسول الله!.. فأُعجب ـ عليه الصّلاة والسّلام

(١) الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق أحمد عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤٠هـ، ١٩٨٣م، ٣٨/٤.
(٢) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٩٠م، ٦٧١/٣.
(٣) القرشي: جمهرة أشعار العرب، عبد الله الطيب، الحماسة الصغرى، مطبعة أكسفورد، لندن، ١٩٦٤م،
ص ٥٠ـ٥١.
(٤) النووي: شرح صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ٤١/٤.

ـ بمقاله، واغتبط بهذه الرُّوح حين هدّبها الإسلام: "إلى الجنّة يا رسول الله".

وينشده أيضاً :

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تَكُن لَهُ بوادر تحمي صفوه أنْ يكدرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكُن لَهُ حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فيزداد إعجاب الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام، فيدعو له: (لا يفضّ الله فاك)[1].

وجاء وفد بني تميم إلى المدينة المنورة، فدخلوا المسجد ونادوا رسول الله ε من وراء الحجرات:أنْ اخرج إلينا يا محمد ... فآذى ذلك رسول الله ε فخرج، فقالوا: جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: (قد أذنت لخطيبكم فليقل)، فقام عطارد بن الحجاب فألقى خطبة، فقال رسول الله ε لثابت بن قيس بن شماس الخزرجيّ: (قم فأجب الرّجل في خطبته)، فقام ثابت وألقى خطبة أبلغ من خطبة عطارد، ثم نهض الزبرقان بن بدر فأنشد قصيدته التي فيها:

نَحْنُ الكرامُ فلا حيّ يعادلنا منّا الملوك وفينا يُقسم الرّبع
ونَحْنُ نُطْعِمُ عند القحط مطعمنا من الشواءِ إذا لم يؤنس القرع

فلما أكمل قصيدته قال النّبيّ ε: (قم يا حسّان فأجب الرّجل فيما قال)، فقال قصيدته التي فيها :

إنَّ الذوائبّ من فهرٍ وإخوتهم قد بيّنوا سُنَّةً للنّاس تتبعُ
يرضى بها كلّ من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمرِ الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوهم أو حاولوا النَّفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة إنَّ الخلائق فاعلم شرّها البدعُ
إنْ كان في النّاس سباقون بعدهم فكلّ سبقٍ لأدنى سبقهم تبعُ[2]

فلما فرغ حسّان من قوله؛ قال الأقرع بن حابس : وأبي إنَّ هذا الرجل لمؤتى ـ يعني موفق ـ، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر

(١) النووي: شرح صحيح مسلم، ٤/٤١ وما بعدها.
(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، طبعة عيسى البابي الحلبي، ٤/٢١٤.

من شاعرنا، ولأصدواتهم أحلى من أصدواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا، وجوَّزهم النّبيّ ε فأحسن جوائزهم[١].

ورُوِيَ أنَّ قتيلة بنت النضر بن الحارث وكان أبوها قد أمر الرسول ε بقتله ـ على رواية ابن رشيق[٢] ـ بعد أنْ كَثُرَ إيذاؤه للنّبيّ ε فاستوقفته منشدة قصيدتها:

يـ ـا راكبـ ـاً ، إنَّ الأثيـ ـل مظنـ ـةٌ مـ ـن صـ ـبح خامسـ ـةٍ وأنـ ـت
أبلـ ـغ بهـ ـا ميتـ ـاً بـ ـأنَّ تحيـ ـةً مـ ـا إنْ تـ ـزالُ بهـ ـا النّجائـ ـب
منـ ـي إليـ ـك وعبـ ـرةَ مسـ ـفوحةٌ جـ ـادت بواكفهـ ـا وأخـ ـرى تـ
هـ ـل يسـ ـمَعَنِّي النّضـ ـرُ إن ناديتـ ـه أم كيـ ـف يسـ ـمع ميـ ـتٌ لا ينـ

.....

أمحمـ ـد يـ ـا خيـ ـر رُضـ ـنْءٍ كريمـ ـةٍ فـ ـي قومهـ ـا ، والفحـ ـل فحـ ـل
مـ ـا كـ ـان ضـ ـرّك لـ ـو منـ ـت ولربمـ ـا مَـ ـنَّ الفتـ ـى وهـ ـو المغـ ـيظ
فالنّضـ ـر أقـ ـرب مـ ـن أسـ ـرت قرابـ ـة وأحقّهـ ـم إنْ كـ ـان عتـ ـق

أمّا رواية ابن جعدبة التي أوردها ابن سلام الجمحيّ فتقول : (إنّه مات بسبب جرح أضناه، حتى عاف الطَّعام والشَّراب) . وأيّد بن سلام ما ذهب إليه برواية أخرى تقرِّر أنَّ الرَّسول ε لم يقتل أحداً صبراً بعد بدر إلاَّ عقبة بن أبي معيط[٣].

ونلاحظ أنَّ الرَّسول ε قد وقف واستمع لشعر قتيلة ، ولو كان الشِّعْر في حد ذاته مكروهاً لما فعل الرَّسول المعصوم ذلك. كما نلاحظ أنَّ الشِّعْر لم يكن سبباً في القتل؛ بل لو لم يسبق القدر لكان سبباً في حياة النّضر.

ونذكر موقفاً آخر مع أبي عزة الجمحيّ ـ وهو أحد شعراء مكة ـ كانت للرَّسول ε معرفة به قبل الهجرة، وهو كثير الولد، قليل المال. ولما كانت معركة الشِّعْر بين معسكر الإيمان بالمدينة المنورة وبين معسكر الكفر في مكة، كان أبو عزة ضمن شعراء الشِّرك فأُسِرَ يوم بدر كافراً ، فقال : يا رسول الله،

(١) المرجع السابق نفسه، ٢١٤/٤. وانظر: ديوان حسَّان، شرح البرقوقيّ، ص ٣٠٥.
(٢) ابن رشيق: العمدة، ٥٦/١.
(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشّعْراء، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٠٠-١٠١.

إني ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامنن عليَّ ـ صلى الله عليك ـ فقال: (على ألاّ تعين عليّ؟) ـ يريد شعره ـ قال: نعم . فعاهده وأطلقه، فقال:

ألا أبلغ أعني النّبيّ محمداً ... بأنّك حقٌّ والملك حميدُ
وأنت امرؤ تدعو إلى الرُّشدِ ... عليك من اللهِ الكريم شهيدُ
والتُّقى ... شقي ومَنْ سالمته لسعيدُ
وإنّك مَنْ حاربتَه لمحاربٌ ... تأوب مني حسرة وتعودُ[1]
ولكن إذا ذكرتَه بدراً وأهلها

لكن أبا عزة لم يفِ بالعهد الذي ضربه مع الرَّسول ε بسبب إغراء صفوان بن أمية له بالمال، فانخرط ثانية في معسكر الشِّرك، وعاد يوم أُحُد، وأُسِرَ ثانية وأعاد ذات الطَّلب: يا رسول الله ، إنّي ذو عيال وذو حاجة قد عرفتها، فامنن عليَّ ـ صلى الله عليك ـ، فقال النّبيّ ε كلمته الحكيمة التي سارت مثلاً : (لا يلدغ المؤمن من جُحْرٍ واحد مرّتين)[2].

وفي هذا الموطن نجد أنَّ الرَّسول ε أطلق سراح أبي عزة الجمحيّ، وهو شاعر معروف. ولو كان الإسلام يشنُّ حرباً على الشِّعْر والشِّعْراء لكانت سانحة للتخلُّص من واحد منهم، قد أتى يحمل السلاح لحرب الرَّسول ε ولكن الأمر عكس ذلك تماماً ، فقد مَنَّ الرسول ε وفكَّ أسره، مكتفياً بالاشتراط عليه ألاَّ يعود إلى معسكر الشِّرك مشاركاً في حملتهم ضدّ الإسلام.

كما نجد أنَّ الشرط الذي طُلِبَ منه الالتزام به ليس عدم قول الشِّعْر؛ بل عدم الإعانة على الرَّسول ε والمسلمين بشعره. ولو كان الشِّعْر مرفوضاً في الإسلام بصورة أساسيّة لكان الشَّرط المنطقيّ عدم قول الشِّعْر.

ومما نلاحظ أيضاً أنَّ هذا الموقف من الرَّسول ε يجعل للشِّعْر أهمية خاصّة، ويقدم هذه الأهمية على حرب السّلاح فقد جاء أبو عزة محارباً في جيش الكفر، فلم يشترط عليه الرَّسول ε ألا يعود محارباً بالكلمة الشَّاعرة.

---

(١) د. حسن بشير: مكانة الشِّعْر في مسيرة الحياة الأدبية في صدر الإسلام، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص ٢٨-٢٩.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، حديث رقم ٥٧٨٢، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، بيروت، تحقيق مصطفى ديب البغا، ٢٢٧١/٥.

تلك لمحات توضِّح موقف الرَّسول الكريم ε من الشِّعْر، وتكشف عن منزلته المرموقة لديه، فهي منزلة مودة وتعاون ووفاق! ولكن هناك كثير من القضايا المثارة حول هذا الموضوع وسوف نشير - إن شاء الله تعالى - إلى بعضها في المبحث الثالث.

المبحث الثالث
شبهات حول الرُّؤية النَّبويّة الشَّريفة للشِّعْر

جاءت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة تبدو بخلاف ما أثبتناه، وهي عبارة عن شبهات ينبغي الرَّدّ عليها، وسوف أتناول أبرزها فيما يلي:

أولاً: إنَّ القرآن الكريم ذم الشِّعْر في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشِّعْراء: ٢٢٤-٢٢٦].

ثانياً: قول النّبيّ ε (لأنْ يمتليء جوف أحدكم قَيحاً حتّى يَرِيَهُ؛ خيرٌ له من أنْ يمتليء شعراً)[1].

ثالثاً: إنَّ الله تعالى قد نزَّه النّبيّ ε عن الشَّاعريّة، فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

رابعاً: هنالك زعم بأنَّ الشِّعْر تخلّى عن مكانته المرموقة التي كان عليها من قبل، وكسدت سوقه في عصر صدر الإسلام[2].

(١) البخاريّ: صحيح البخاريّ، طبعة دار الجيل، بيروت، ٥٤/٨.وقوله: (حتَّى يَرِيَهُ) ليس في البخاريّ، ولكن في سُنن ابن ماجة ومسند أحمد.

(٢) د. صالح آدم بيلو: من قضايا الأدب الإسلاميّ، دار المنارة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٢٧.

أمَّا قولهم بأنَّ الله تعالى ذم الشِّعْر في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشّعْراء: ٢٢٤-٢٢٦].

فنورد في الرَّدّ على هذه على هذه الشُّبهة قول ابن رشيق القيروانيّ معلّقاً على هذه الآية: "وأمَّا احتجاج مَنْ لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشّعْراء: ٢٢٤-٢٢٦]. فهمٌ غلط وسوء تأوّل؛ لأنَّ المقصودين بهذا النَّص شعراء المشركين الذين تناولوا الرَّسول ε بالهجاء، ومسُّوه بالأذى، فأمَّا سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله تعالى ونبَّه عليهم فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشّعْراء: ٢٢٧] يريد شعراء النّبيّ ε، الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين بدلاً عنه، كحسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وقد قال النّبيّ ε فيهم: (ما رواه عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: ، قلت: يا رسول الله قد أنزل في الشِّعْر ما قد أنزل، فقال النّبيّ ε: (إنَّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنَّما ترمونهم نضح النَّبل)[1].

والذين يقولون في هذه الآيات الكريمات إنَّه رفض للشِّعْر سليزمهم القول برفض الإيمان في الاستثناء المشار إليه في صورة العصر، قال تعالى:

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]، فواضح أنَّ أسلوب الاستثناء

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت، حديث رقم ٥٧٨٩، ١٠٢/١٣. وفي مسند الإمام أحمد (لكأنَّ ما ترمونهم به نضح النَّبل)، برقم ٢٥٩٢١.

هنا يخرج المؤمنين المسلمين المتواصين بالصَّبر من دائرة الخسران، كذلك آيات الشِّعْراء فيها إخراج للشِّعْراء الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات من دائرة الغواية والضَّلال، وليس في الآيات إنكار أو ذم للشِّعْر أو الشِّعْراء على الإطلاق كما يتوهَّم الكثيرون .

أمَّا حديث النّبيّ ε : (لأن يمتليء جوف أحدكم قَيحاً يَرِيَهُ؛ خيرٌ له من أنْ يمتليء شعراً) [1]، جاء في تفسير القرطبيّ: "قال علماؤنا: وإنَّما فعل النّبيّ ε هذا مع الشَّاعر لمِا علم من حاله، فلعلَّ هذا الشَّاعر كان ممن عرف من حاله أنَّه قد اتخذ الشِّعْر طريقاً للتكسُّب فيفرط في المدح إذا أُعْطِي، وفي الهجو والذم إذا مُنِع فيؤذي النَّاس في أموالهم وأعراضهم ولا خلاف في أنَّ مَنْ كان على مثل هذه الحالة فكلّ ما يكتسبه بالشِّعْر حرام.." [2].

وجاء في "العمدة": "هذا الحديث إنَّما هو فيمن غلب الشِّعْر على قلبه، وملك نفسه، حتَّى شغله عن دينه ، وإقامة فروضه ، ومنعه عن ذكر الله تعالى، وقراءة القرآن الكريم...)[3].

ويذهب الشَّيخ الشّنقيطيّ إلى أنَّ الحديث الصَّحيح والمصرّح بأنَّ امتلاء الجوف بالقيح المفسد له خير من امتلائه بالشِّعْر محمول على مَنْ أقبل على الشِّعْر واشتغل به عن الذِّكر وتلاوة القرآن، والطَّاعة تعالى . على الشِّعْر القبيح المتضمّن للكذب الباطل ، كذكر الخمر ومحاسن النِّساء الأجنبيات ونحو ذلك[4] .

أمَّا قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ [يس: ٦٩]؛ فهذه الآية ليس لها علاقة بذم الشِّعْر، ولا بتحقير الشِّعْراء؛ بل إنَّ الله تعالى باعد بين الرَّسول ε والشَّاعريّة، ولا بُدَّ أنْ تكون هنالك حكمة من نفي تلك الشَّاعريّة رداً من القرآن الكريم على ما كان يشيعه المشركون ويتحدثون به من أنَّ القرآن شعر، وأنَّ محمداً شاعر، وأنه υ لم يأت بكلام منزل من عند الله تعالى ، وإنَّما الذي يجيء به شعر من جنس أشعارهم

(١) البخاريّ: صحيح البخاريّ، ٤٥/٨، مرجع سابق.وليس فيه قوله: (يَرِيَهُ)؛ بل في مسلم برقم ٤١٩٢، وسنن التّرمذيّ برقم ٢٧٧٨.
(٢) القرطبيّ: الجامع لأحكام القرآن الكريم، ٨٦١/١٣.
(٣) ابن رشيق: العمدة، ٣٢/١.
(٤) الشّنقيطيّ: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، طبعة دار الفكر، ١٤١٥هـ، ١٩٢٥م، ١٠٥/٦.

المعروفة، وكان طبيعياً أنْ يتصدّى القرآن لهذا الاتهام بنفي الشّاعريّة عن النّبيّ ε حتّى يثبت أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على الرَّسول، وأنَّ النّبيّ لا يتلو كلاماً من عنده[١]. وإنْ كان نفي الكتابة والقراءة عن النّبيّ الأميّ ε لا يقدح فيهما بشيء؛ بل استخدما في الدَّعوة، فكذلك نفي الشّاعريّة أو الشِّعْر عنه لا يقدح في الشِّعْر بشيء، فكما هو معلوم أنَّه كان للنَّبيّ ε شعراء يدافعون عنه وعن دعوته.

أمَّا الزَّعم القائل بأنَّ الشِّعْر تخلّى عن مكانته المرموقة التي كان عليها قبل وكسدت سوقه في عصر صدر الإسلام، فنردّ عليه بقولنا: تذخر كتب التّاريخ والسِّير والتّراجم والمغازي بكثير من الأشعار في صدر الإسلام، فليس هنالك حدث كبير إلاّ ويواكبه شعره، ومن زعم أنَّ الشِّعْر ضعف فقد اغترّ بقول ابن خلدون في مقدمته إذ يقول: "انصرف العرب عن الشِّعْر أوّل الإسلام مما شغلهم من أمر الدِّين والنُّبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النَّظم والنَّثر زمناً ، ثُمَّ استقرّ ذلك وأونس الرُّشد، ولم ينزل الوحي في تحرير الشِّعْر وخطره، وسمعه النّبيّ ε، وأثاب عليه، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه"[٢].

يقول الدّكتور/ شوقي ضيف: "ووضح أنَّ هذا لا يَصْدُقُ على المشركين؛ لأنَّهم لم ينشغلوا بالدَّعوة".

ومعروف أنَّ جمهور القبائل العربيّة إنَّما دخل في الإسلام بعد فتح مكة في العام الثّامن للهجرة. وإذن فانصرافهم عن الشِّعْر - إنْ صحَّ - إنَّما كان لمدة عامين إلى أنْ انتقل الرَّسول ε إلى الرَّفيق الأعلى. وابن خلدون بنفسه ينقض كلامه بما قاله في آخره: "لأنَّ الرَّسول ε سمع الشِّعْر وأثاب عليه"[٣].

وفي الحقيقة إنَّ الذي دفع ابن خلدون لهذا الكلام ما جاء عن ابن سلام وتنقلته الرّواة من قولهم عنه: "فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب - أي عن الشِّعْر -، وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والرُّوم، ولهت عن الشِّعْر وروايته، فلما كَثُرَ الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب

(١) د. محمد عبد القادر أحمد: دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلاميّ، ص ٤٤-٤٥.
(٢) ابن خلدون: المقدمة، المطبعة البهية، ص ٤٢٧.
(٣) شوقي ضيف: العصر الإسلامي، القاهرة، طبعة عام ١٩٦٣م، ص ٤٣.

بالأمصار؛ راجعوا رواية الشِّعْر، فلم يؤولوا إلى كتاب أو ديوان مكتوب"[١].

ويقصد ابن سلام تشاغل العرب عن الرّواية وليس الإبداع والإنتاج الأدبيّ ـ كما ذكرنا من قبل ـ وإلاّ لم يذكر في موضع آخر: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافراً لأتاكم علم وشعر كثير"[٢].

خاتمة:

بعد هذه الدّراسة المقتضبة أودُّ أن أشير إلى بعض النّتائج في النّقاط التّالية:

- نلاحظ أنَّ موقف الدِّين الحنيف، والنُّبوة الشَّريفة من الشِّعْر موقف متزن، فقد أقرّ منه الدّاعي للفضيلة والخير، وأنكر الدّاعي للرّذيلة والشَّرّ، كما في الحديث الشَّريف: (الشِّعْر كالكلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح)[٣].
- وهذا الموقف ينطبق على القصة والمسرح وكل وسائل الإعلام، فهي سلاح ذو حدين يمكن أنْ يوجه للخير أو الشَّرّ.
- أمَّا الزعم القائل بأنَّ الشِّعْر تخلّى عن مكانته المرموقة وكسدت سوقه في عصر النُّبوة؛ فالإسلام رفع قيمة الشِّعْر، وجعله ربطاً للأرض بالسماء والدنيا بالآخرة، كما جاء في كثير من النُّصوص السَّبقة بدلاً من الطَّيش، والسَّفه، والهجاء الوقح، فقد أمر بالكيف وليس بالكم.
- هذَّب الإسلام الأغراض الشِّعْرية الجاهليّة، فالهجاء أصبح للمشركين دفاعاً للنُّبوة والدَّعوة، كما قال الرَّسول ε لحسَّان بن ثابت: (اهجهم وجبريل معك)، والمدح أصبح للنُّبوة الكريمة والشهداء الأخيار.
- وفي الحقيقة هذه الورقة البحثيّة تُعَدُّ تمهيداً لبحث موسَّع عن موقف الإسلام من الشِّعْر بصفة عامة، تتناول كل الرُّؤى القرآنيّة

(١) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشُّعَراء، السفر الأول، شرح محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ص ٢٤-٢٥.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٥.
(٣) البخاريّ: الأدب المفرد، ص ١٧٤.

والنَّبويّة، وأقوال السَّلف الصَّالح كالخلفاء الرَّاشدين، وعلماء التابعين، والآراء الأخرى المختلفة مدعمة بالنُّصوص .

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيّد الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه والتَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.